العدد ٢٠٠١/٤٤

الأحد ٤ تشرين الثاني

تذكار البار ايوانيكيوس الكبير

والقديسين الشهيدين نيكاندرس

أسقف ميرا وارميوس القس

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الحادي عشر

الرسالة

(غلاطية ٦: ١١–١٨)

يا إخوةُ انظُروا ما أعظمَ الكتاباتِ التي كتبتُها إليكم بيدي* إنَّ كُلَّ الذينَ يريدون أن يُرضُوا بحسَبِ الجسَدِ يُلزِمونكم أن تَختتِنوا وإنَّما ذلكَ لئَلاَّ يُضطهَدوا مِن أجلِ صليبِ المسيح* لأنَّ الذينَ يَختَتِنون هم أنفسُهم لا يحفَظون الناموسَ بل إنَّما يُريدون أن تَختَتِنوا ليفتَخروا بأجسادكم* أمَّا أنا فحاشى لي أن أفتَخِرَ إلاَّ بصليبِ ربِنا يسوعَ المسيحِ الذي به صُلبَ العالَمُ لي وأنا صُلبتُ للعالم* لأنَّهُ في المسيحِ يسوعَ ليسَ الخِتانُ بشيءٍ ولا القَلَفُ بل الخليقةُ الجديدة* وكلُّ الذين يسلُكونَ بحسَبِ هذا القانونِ فعليهم سَلامٌ ورحمةٌ وعلى إسرائيلَ الله* فلا يجلب عليَّ أحدٌ أتعابًا فيما بعدُ فإنّي حاملٌ في جسدي سماتِ الربِّ يسوع* نعمةُ ربِّنا يسوعَ المسيحِ مع روحِكم أيُّها الإخوة. آمين.

تقدمة القرابين

«لقد اشتريتنا من لعنة الناموس بدمك الكريم لما سُمّرت على خشبة، ولما طُعنت بحربة أنبعت للبشر عدم البلى يا مخلّصنا» (من خدمة تهيئة الذبيحة الإلهية).

ذبائح العهد القديم الدموية وجدت معناها وكمالها في ذبيحة الرب على الصليب حيث قدّم نفسه، كرئيس كهنة، ذبيحة عن البشر. إنه المقرِّب والمقرَّب. لقد أبطلت ذبيحة يسوع الدموية كافة الذبائح الدموية القديمة، لأنها وحدها استطاعت أن تمحو صك الخطيئة، ما لم تستطع تلك الذبائح أن تفعله. لم يعد الإنسان بحاجة إلى تقديم ذبائح دموية لاسترضاء الإله أو لافتداء نفسه، بل صارت «الذبيحة لله روح منسحق. القلب المتخشع والمتواضع لا يرذله الله» (مز ١٧:٥٠). مع يسوع، صارت الذبائح ذات طابع روحي كالإحسان والصلاة والصوم. وفي هذا الإطار يأتي تقديم القرابين للذبيحة الإلهيَّة الذي نقوم به في الكنيسة.

ان الفرق الأساسي بين ذبيحة يسوع والذبيحة الإلهيَّة أو القرابين التي نقدّمها هو ان ذبيحة يسوع دموية وقد حصلت مرة واحدة وإلى الأبد ولا يمكن تكرارها،أما قرابيننا فهي ذبيحة غير دموية ونقدّمها دومًا بناءً على وصية الفادي الذي أمر ان «اصنعوا هذا لذكري»(لو٢٢:١٩،و١كور١١:٢٤).

لقد اختار يسوع الخبز والخمر من بين كل نتاج الأرض ليكونا جسده ودمه الكريمين، ليكونا الذبيحة غير الدموية. قبل الصليب وأثناء اجتماعه مع تلاميذه في علية صهيون «وفيما هم يأكلون، أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا»(متى ٢٦:٢٦–٢٨).
لقد اختار الخبز والخمر لأنهما عصب الحياة، أساس تغذية البشر، ونحن عندما نقدّمهما إلى الكنيسة لكي يستعملهما الكاهن في تهيئة الذبيحة الإلهيَّة نقدّمهما ليكونا «رمزًا لتقديم أنفسنا إلى الله بالاشتراك بذبيحة ابنه، إذ ان هذا الخبز وهذه الخمر هما قوت الإنسان ويرمزان إلى حياته وشخصه. فتقديمهما إذًا يرمز إلى تقديم النفس والحياة لله».

هذه القرابين هي جزء منا،بمقدار ما

هي ممزوجة بتعبنا وعرقنا، وبقدر ما نحمِّلها من كياننا وقلبنا وعقلنا وروحنا وجسدنا وكل شيء فينا. لكنها لا تصبح مقبولة إلا بقدر ما هي متماهية مع مفهوم ذبيحة الصليب. أي ان ذبيحة الصليب يجب أن تكون حاضرة في ذهننا عندما نقدِّم القرابين إلى الكنيسة.لأننا إن لم نقدِّم هذه القرابين في المسيح فلا معنى لذبيحتنا. المسيح هو المقرِّب والمقرَّب والقابل والموزع. نقدِّم القرابين ونسأل الرب يسوع أن يقدِّمها هو إلى الله الآب، لأن بيسوع المسيح «لنا كلينا قدومًا في روحٍ واحدٍ إلى الآب» (أف٢:١٨).

لقد وحّد الرب يسوع نفسه بنا،ولهذا فإن ذبيحتنا هي ذبيحته، وقرباننا قربانه.وكما قرّب يسوع نفسه ذبيحة مقبولة لأجل العالم، هكذا يصبح تقديمنا القربان ذبيحة مقبولة من أجل أحيائنا وأمواتنا، إذا كنا نقدِّمها بالمحبة نفسها التي قدَّم بها يسوع نفسه لأجلنا. المهم أن تتماهى ذبيحتنا مع ذبيحة يسوع التي قدّم فيها نفسه فداءً عنا.

عندما نقدِّم القرابين،إلى الكنيسة، نحن نمارس دون أن نعي كهنوتنا الملوكي الذي كان للإنسان في الفردوس وفقده ثم استعاده بيسوع المسيح. نقرِّب لله مما أعطانا: «التي لك،مما لك، نقدِّمها لك، عن كل شيء ومن جهة كل شيء». عندما نقدِّم له رمز قوتنا اليومي،فنحن نقدِّم أنفسنا والخليقة كلها لله ليباركها.والقربانة التي نقدِّمها لتتحوَّل لاحقًا إلى جسد الرب، هي صورة للرعية الواحدة بيسوع المسيح. لقد ورد هذا الوصف في نص من القرون الأولى: «وكما ان هذا الخبز كان منثورًا فوق الجبال ثم جُمع فصار خبزًا واحدًا، كذلك إجمعْ كنيستك من أقاصي المسكونة إلى ملكوتك لأن لك المجد والقدرة بيسوع المسيح» (تعليم الرسل الإثني عشر).

حبوب القمح تمثِّل أبناء الرعية، والرب يسوع يجمعها ويطحنها ويعجنها مع بعضها فتخرج خبزًا واحدًا هو جسد المسيح.

نقدِّم القرابين ممزوجة بمحبتنا وتعبنا، ونرفع الصلاة لكي يتقبّلها الآب بابنه يسوع، فيأخذها الكاهن ويهيء الذبيحة الإلهيَّة قبل القداس الإلهي. (سوف نشرحها في العدد المقبل).

زيارة الفاتيكان

في زيارة قام بها إلى روما، قابل غبطة البطريرك إغناطيوس الرابع صباح الإثنين في ٢٢ تشرين الأول، قداسة البابا يوحنا بولس الثاني، يرافقه وفد ضم سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس، سيادة متروبوليت جبل لبنان المطران جورج، الأستاذين ألبير لحام وريمون رزق ود. طارق متري. وقد ألقى غبطة البطريرك إغناطيوس الرابع، ردًا على خطاب قداسة البابا الترحيبي كلمة دعا فيها إلى متابعة الحوار الذي انقطع بين الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية. كما دعا إلى شجب الإرهاب بما فيه ذلك الذي تمارسه الدول. وأكد على التضامن مع الذين يبحثون عن حريتهم في مقاومة المحتل، وعلى إيقاف المجازر بحق الأبرياء.

وكان سبق زيارة قداسة البابا اجتماع عمل بين البطريرك إغناطيوس الرابع ومرافقيه والمجلس البابوي لوحدة المسيحيين جرى البحث خلاله في العلاقات الكاثوليكية الأرثوذكسية عامة والعلاقات مع الكنيسة الإنطاكية خاصة.

ومساء الإثنين في ٢٢ تشرين الأول، أقام الكاردينال والتر كاسبر، رئيس المجلس البابوي لوحدة المسيحيين، عشاء على شرف

الإنـجيل

(لوقا ١٦:١٩–٣١)

قال الربُّ كان إنسانٌ غنيٌّ يلبَسُ الأُرجوانَ والبَزَّ ويتنعَّمُ كلَّ يوم تنعُّمًا فاخِرًا* وكان مسكينٌ اسمُهُ لعازرُ مطروحًا عند بابهِ مُصابًا بالقُروح* وكان يشتهي أن يَشْبَعَ مِنَ الفُتاتِ الذي يسقطُ من مائدةِ الغني. بل كانت الكلابُ تأتي وتلحسُ قُروحَهُ* ثمَّ ماتَ المسكينُ فنَقَلَتْهُ الملائكةُ إلى حِضْنِ إبرهيمَ. وماتَ الغنيُّ أيضًا فدُفِنَ* فرفعَ عينَيْهِ في الجحيم وهو في العذابِ فرأى إبرهيمَ من بعيدٍ ولعازرُ في حِضنهِ* فنادى قائلاً يا أبتِ إبرهيمُ ارحمني وأرسِلْ لعازرَ ليُغمِّسَ طَرَفَ إصبعِهِ في الماء ويبرِّدَ لساني لأنّي مُعذَّبٌ في هذا اللهيب* فقال إبرهيمُ تذكَّرْ يا ابْني أنَّك نِلتَ خَيْراتِك في حياتِك ولعازرُ كذلك بلاياهُ. والآن فهو يتعزَّى وأنت تتعذَّبُ* وعلاوةً على هذا كلِّه فبيننا وبينَكم هوَّةٌ عظيمةٌ قد أُثبِتَتْ حتَّى إنَّ الذين يريدون أنْ يجتازوا من هنا إليكم لا يستطيعون ولا الذين هناك أن يعبُروا إلينا* فقال أسألكَ إذًا يا أبَتِ أن تُرْسِلَهُ إلى بيتِ أبي* فإنَّ لي خمسةَ إخوةٍ حتَّى يشهدَ لهم لكي لا يأتوا هم أيضًا إلى موضعِ العذابِ هذا* فقال لهُ إبرهيم إن

عندهم موسى والأنبياءَ فليسمعوا منهم* قال لا يا أبتِ إبرهيمُ بل إذا مضى إليهم واحدٌ مِنَ الأمواتِ يتوبون* فقال لهُ إنْ لمْ يسمعوا مِنْ موسى والأنبياءِ فإنَّهم ولا إن قام واحدٌ من الأموات يصدّقونهُ.

تأمل

ما هي طرق الرب، أليست هي الحياة الصالحة التي بواسطتها نتمكن من الصعود إلى السماء والوصول إلى الوطن حيث نرى الله تعالى بقدر ما يمكن الإنسان أن يراه؟ انها تسمى طرقًا لأننا بواسطتها نتمكن من الوصول إلى الله. والنبي يقول طرقه لا طريقه، لأنها كثيرة وبها يسهل الصعود إليه. فبعض الناس يتلألأون بالبتولية، وبعضهم يتمجدون بحياتهم الزوجية، وبعضهم يزدانون بالترمل. أناس رفضوا الكل وآخرون النصف. الأولون يصعدون بالحياة الصالحة والآخرون بالتوبة. فلتسهيل خطواتك جعل الله الطرق كثيرة، فإذا لم تقدر أن تحفظ جسدك طاهرًا بعد حمام المعمودية، فإنك تطهره بالتوبة أو بالغنى أو بالإحسان. أليس عندك مال؟ فإنك تقدر أن تعود المريض، وتزور السجين، وتسقي الظمآن، وتؤوي الغريب، وتقدّم فلسين

البطريرك إغناطيوس والوفد المرافق، حضره البطاركة نصرالله بطرس صفير، غريغوريوس الثالث لحام، روفائيل الأول بيداويد، ميشال صباح، نرسيس بدروس التاسع عشر وإغناطيوس بطرس الثامن عبد الأحد.

هذا، وسبقت زيارة روما، زيارة لمدة ثلاثة أيام (بين ١٨ و٢١ تشرين الأول) لدير بوزيه في شمالي إيطاليا، حيث أُتيح للبطريرك أن يلتقي عددًا من الإختصاصيين في القضايا المسكونية ويلقي محاضرات وخطبًا عن الكنيسة الإنطاكية الأرثوذكسية ودعوتها ودورها في العالم العربي، وعن العلاقات المسيحية– لإسلامية. كما أجرى مقابلات تليفزيونية وإذاعية وصحفية عديدة تناول فيها أهم القضايا الكنسيَّة والعربية والدولية الراهنة.

كلمة قداسة البابا الترحيبية

إن لي نعمة وفرحًا وتعزية قد استراحت بك أيها الأخ (فيلمون ٧).

يا صاحب الغبطة،

ما أصدقها اليوم أيضًا كلمات بولس هذه وأنا حافظ ذكرى حارة كثيرًا لحجي إلى سوريا، ولا سيما ذكرى الإقامة المسكونية للكلمة وقد رئسناها معًا بمشاركة إخوتنا الآخرين في الكاتدرائية المريمية في دمشق في الخامس من أيار الماضي. وها أنتم تجيئون لزيارتي في روما يا صاحب الغبطة، فيما أنتم عائدون إلى الكرسي الإنطاكي الموقر.

من خلال لقاءَنا يعطينا الرب إفادات واضحة للأخوّة التي تكلّمت عليها الرسالة إلى فيلمون. ما تبادلناه يكشف لنا أننا نعبر الطريق الصالح، هذا الذي لا يزال الرب يدلنا عليه، طريق الشركة الكاملة. في أيار الـ١٩٨٣، فيما كنتم تتبعون خطى الرسولين بطرس وبولس اللذين أسمعا للمرة الأولى الكلمة في إنطاكية وأدّيا شهادتهما البهية في روما، زرتموني في روما للمرة الأولى حتى نتقدّم معًا على طريق الوحدة في الإيمان ومعرفة ابن الله (أف٤: ٣).بدوري،في هذه السنة، استطعت أن أذهب إليكم ماشيًا على الطريق التي اتبعها الرسل مجتهدًا مثلكم،أيها الأخ العزيز، أن أطيع الحقيقة «لأمارس بمحبة أخوية بلا رياء»، لأدل أننا نحب بعضنا بعضًا «من قلب طاهر بشدة»، متكلين على «كلمة الله الحيَّة الباقية التي بها نكبر للخلاص» (١ بط٢٢:٢٤).

إننا نتألم لأن مشيتنا تتباطأ أحيانًا إذ يصدف ان المحبة الوديعة، الهانئة، المتعاطفة والرؤوف، التي تحيينا، تذبل على الطريق، بعادة المجابهة، وبعجزنا أن نجد تعبيرًا مشتركًا إذ ننسى دعاء المسيح: «إني أسأل من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم ليكون الجميع واحدًا» (يو ١٧: ٢٠–٢١).

إنكم تعلمون مثلي، يا صاحب الغبطة، ما يفترض طريق الوحدة الطويل وطريق المصالحة بين الإخوة،وأنتم عامل الساعة الأولى،في جهود التقارب بين الشرق والغرب. لقد دعمتم،منذ البدء،الحوار اللاهوتي بين الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية جملة.واليوم نلتمس من الرب النعمة والقوة لنذهب إلى ما بعد تعثر الحوار الناتج عن تلمّس له غير خصيب، ذلك ان الرب دلّنا على الدرب إذ ذكرنا ان خبرة المحنة لا تنفصل عن اليقين الكامل.فإنه قد غلب العالم (يو٣٣:١٦)! أنا أعلم يا صاحب الغبطة أنكم مثلي تصلّون بلا انقطاع وتتأملون وتعملون وتقنعون لتتمهد الطريق. ان الحوار اللاهوتي ينبغي ألاّ تهزه ريح فقدان العزم أم أن يتيه باللامبالاة وفقدان الرجاء. من هذا المنظار، يا صاحب الغبطة، تأتي زيارتكم مناسبة نعطاها لنستأنف

ونثبت روابط الأخوّة التي تجمعنا وذلك أمام الله وفي المسيح. وإني أشكر لكم ذلك شكراً عميقاً وأشكر صحبكم. وإني لعالمٌ أنهم مساهمون في خدمتكم راعياً ويعضدونكم في جهود المصالحة التي تبذلون. إن لي نعمةً وفرحًا وتعزيةً بمحبتكم أيها الإخوة. وإني أسألكم أن تؤكدوا للأساقفة والكهنة وكل الشعب المؤمن في بطريركية إنطاكية أن حج أسقف روما إلى الأماكن التي بشَّر فيها بطرس وبولس لا يكون قد ذهب سدىً. إنه تجديد الوعد الذي قطعته على نفسي منذ أول حبريتي أن يكون سعيي إلى الوحدة من أولياتي الرعائية.

عسانا نكون مطواعين لنداء الروح الذي يرشدنا إلى الوحدة الكاملة والمنظورة وألا نحول دون المحبة التي أحب الله بها الإنسانية كلها في يسوع المسيح (راجع الخطاب إلى الكرادلة وإلى الكوريا الرومانية (٢٨ حزيران ١٩٨٥)، رقم ٤، وكذلك الرسالة الرعائية ليكونوا واحدًا، الرقم ٩٩). وفيما أنا في هذه المشاعر أجدِّد لكم محبتي الأخوية في المسيح.

كلمة غبطته

يا صاحب القداسة،

زيارتكم دمشق، وهي تقودنا إلى روما، أحسَّتها سوريا كلها رسالة سلام وصلاة وإخاء. وأود هنا أن أشكر لكم كل ما جئتم به إلينا. نحن نصلّي كي يصبح الخطاب المسكوني أكثر عمقاً بين الشرق الأرثوذكسي والكثلكة الرومانية، وعلى شفافية كاملة، وصدق لا تشوبه شائبة، وتواضع واحترام حقيقي لتعدّد الكنائس. علينا أن نسعى معًا إلى إيجاد مناخ يفسح في المجال لمتابعة الحوار الذي انقطع بين كنيستينا.

إن لاهوت الكنيسة المحليَّة وما يتضمنه من بنية أسرارية، وكذلك مفهوم الكنائس الشقيقة، يحولان دون امتداد أي كنيسة إلى المدى الذي فوّضه الرب لكنيسة أخرى. في الرسالة البابوية «ليكونوا واحدًا» أكدتم، قداستكم، مضمون وثيقة البلمند. وقد شجبتم الاقتناص غير مرة. ألا أسمعَ اللهُ الناسَ ما قلتموه ليوضَعَ حدٌ لكل أشكال الاقتناص في عدد من كنائسنا.

إلى هذا العمل الكنسي الذي لا يسوغ تأخيره، بات الزمن الذي نحن فيه زمن آلام تعانيها الإنسانية كلها. لقد انتشر العنف أبعد من كل تصور. أجل يجري الكلام في أيامنا،بخاصة، عن الإرهاب. وهذا علينا أن نشجبه بقوة. بيد انه علينا أن نشجب الإرهاب الذي تمارسه بعض الدول بحق الأفراد وبعض الدول الأخرى. كما علينا شجب العنف ضد الفقراء. وينبغي أن نكون في تعاضد مع المسحوقين الذين يبحثون عن حريتهم في مقاومة المحتل،وأن نسعى إلى إيقاف المجازر ضد الأبرياء في كل البلدان حيث الأطفال والشيوخ بل كل البشر يموتون عبثاً. يجب احقاق العدل لا القيام بالثأر.هذا البحث عن العدل نحث عليه مع كل الرجال والنساء ذوي النيات الحسنة ولا سيما المسلمين.علينا رفض كل لبس وخلط وردات الفعل البدائية. لندعُ إلى تعايش الأمم ونبذل كل جهد ممكن لاجتناب الصدام بين المسلمين والغرب.

صاحب القداسة،

إن الشقاء الحاضر قد يبقى وتكثر الأحزان. شهادة الكنائس يعوّل عليها لتصير أفصح وألح وأفعل. إن رغبتنا الحارة هي أن ندعو معًا جميع من أرادوا أن يحيوا مسيحيين وفق الإنجيل، إلى الصلاة والصوم، ليرأف بنا ويهبنا أن نكافح سلطان الشر الذي يتزايد في البشرية. ألا ساعدنا يسوع ربنا في جهدنا المشترك ابتغاء خلاص الكل، أن نعمل كتلاميذ له حقيقيين. بحيث نحب بعضنا بعضًا ونحب أعداءنا، لأن وحدها محبة كهذه تقدر أن تكسر تواصلاً لا حد له للعنف وأن تستبق الملكوت.

كالأرملة، وتبكي مع الباكين، وهذه حسنة أيضًا. وإن كنت لا تملك شيئًا، أو فقيرًا جدًا، أو ضعيف الجسم، فلا تقدر على الحركة، احتمل هذا كلّه بالشكر فتحصل على جائزة عظيمة.

هكذا كانت فضيلة لعازر، فهو لم يساعد أحدًا. وكيف يمكنه ذلك وهو يحتاج إلى القوت الضروري، ولم يتمكن من أن يعود المريض لأن الكلاب كانت تلحس قروحه، ومع ذلك فقد نال الجائزة لاحتماله ذلك بالصبر والشجاعة، ولأنه كان يرى ذلك الغني القاسي العديم الإنسانية متمتعًا بأنواع المجد والترف كلها، ويرى نفسه محاطًا بالمصائب، ولكنه لم يفه بكلمة رديئة. لذلك ورث أحضان إبرهيم، وهو لم يكن أفضل من الميت مطروحًا عند أبواب الغني بل نال الإكليل من إبرهيم لأعماله الصالحة ووُضع في أحضانه، مع انه لم يحسن إلى أحد ولم يعطِ يده للقريب ولم يقبل الغرباء في بيته ولم يقدر أن يفعل شيئًا من ذلك مطلقًا وقد نال الإكليل لأنه لم يفتأ يشكر الله. فهذه أعمال صالحة وعظيمة وحكيمة تستحق الشكر مع هذه الآلام، وتعد من أسمى الفضائل.

القديس يوحنا الذهبي الفم